

هل تتغير ثوابت حركة حماس الفلسطينية



مروان كنفاني
مستشار الرئيس الراحل
ياسر عرفات

تعيش حركة حماس الفلسطينية مرحلة سياسية جديدة قد تسفر تطوراتها عن تغيرات كبيرة في توجهاتها وثوابتها الرئيسية المعروفة، وتؤدي إلى مشاهد لم نالها من قبل، لكنها تتسق مع قدرة الحركة على التكيف مع المعطيات المحلية والإقليمية والدولية. قد يكون من أهم التواريخ في مسيرة حركة حماس هو عام 1987 حين برزت كفضيل مستقل للفلسطينيين في جسم جماعة الإخوان المسلمين، بعد أن كانت تعتبر فصليها المصري، خاصة أن بعض حركات التمرد والاعتقالات في مصر التي قام بها عناصر من الإخوان ضد النظام كانت تقاد من أعضاء فلسطينيين في جماعة الإخوان.

قيادة حماس بدأت، الآن، تتفهم أن قضية فلسطين ليست هي قضية العرب الأولى، حيث أن حماية دولهم وضمأن وجودها، قضيتهم الأولى

ثمة تاريخ آخر لا يقل أهمية عن الأول، وهو 2006، العام الذي تمكنت فيه الحركة من الفوز بأغلبية أعضاء المجلس التشريعي في الانتخابات التشريعية الثانية في التاريخ الفلسطيني، وما تلاه من تداعيات سياسية خطيرة. بين هذين التاريخين تطورت قدرات حماس وتواجدها قيادتها في بلدان عربية مجاورة وغير مجاورة.

وارداد التمويل والأعضاء وتحسنت التمريعات والتسليح واعتراف الدول بها، كل ذلك لم يصل إلى قوة وانتشار وإمكانات حركة فتح التي تمكنت من السيطرة المطلقة على الأرض الفلسطينية التي تواجدها بها وفق اتفاق أوسلو مع إسرائيل عام 1993. تغير الوضع مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية في نهاية عام 2000، التي أبلت فيها حماس ومناضلوها في مقاومة جيش الاحتلال الإسرائيلي، وقدمت عشرات الشهداء ومئات الجرحى والأسرى، كما فعلت كافة المنظمات الفلسطينية، وعلى رأسها فتح، حيث ركز جيش الاحتلال على تحطيم قوات السلطة الفلسطينية وأجهزتها الأمنية ودوائرها الحكومية، وأصبحت حماس نداء قويا لفتح، مدعومة من دول عربية عدة. ساعد سوء الأحوال المعيشية وانتشار البطالة وادعاءات الفساد وانقسام الأداء الانتخابي لحركة فتح، على تمكين حماس من الفوز بأغلبية أعضاء المجلس التشريعي، ويعد تحطيم واختلاف بين الحركتين وفشل الحكومة الائتلافية وتبادل الاتهامات والتهديات، تم انفصال قطاع غزة ضمنا عن باقي الأراضي الفلسطينية التابعة للسلطة الوطنية ولا زال حتى تاريخنا الحالي. أدار الانتصار السريع وغير المتوقع رؤوس قادة حماس للاستمرار في تحقيق انتصارات متتالية، لاسيما بعد دخول الحركة لعبة التحالف مع قوى عربية وإقليمية. على غرار نهج استمرار الثورة التي أجادتها دول عديدة في مناطق مختلفة من العالم، استمرت حماس في تنفيذ برنامجها النضالي ضد الوجود الإسرائيلي في فلسطين وبتجاه عودة اللاجئين. أفتعت ثلاث حروب قصيرة مع إسرائيل، ومئات الشهداء وآلاف الجرحى وتهديم أحياء وحرارات بكاملها من مدينة غزة، قادة حماس بتجاوز تلك الأهداف، ثم جاء دور

الحصار الظالم الذي أضر بكل الفلسطينيين، وأصبح جزءا من العقاب لمجرد التفكير في استمرار المقاومة. جاء عهد الصواريخ التي تطلق من غزة ويعقبها مباشرة تصريح من قيادة حماس بالموافقة على التهدئة، إذا وافقت إسرائيل عليها، الأمر الذي يتم بعد أن تثار الأخيرة بهدم الكثير من المنازل وإزهاق أرواح العديد من المواطنين. حاولت حماس التمسك بمبدأ استمرار المقاومة، عن طريق تحشيد الشباب والأطفال والنساء الفلسطينيين كل يوم جمعة على الحدود الشمالية والشرقية مع إسرائيل، دعما وممارسة لعودة اللاجئين الذين طردوا من ديارهم. الأمر الذي ترفضه غالبية الدول العربية والأجنبية، ودفع حوالي 500 فتى وطفل وصحافي وأكثر من ألفي شاب حياتهم جلاء الوحشية الإسرائيلية. ويبدو أن الاستمرار في إلغاء هذا التحشيد سوف يستمر حتى يتم التوصل لوسيلة أخرى تضمن مبدأ "استمرار المقاومة". حان الوقت لأن تدرك قيادة حماس معنى التحالف الراسخ واتفاق المصالح بين الولايات المتحدة وبين دول أوروبية وإسرائيل ومشاريعها، وواقع تحالف العديد من الدول في المنطقة مع الولايات المتحدة، درعا لتعرضها للتهديد من قبل دول قوية في الشرق الأوسط. بدأت قيادة حماس، الآن، تفهم أن قضية فلسطين ليست هي قضية العرب الأولى، حيث أن حماية دولهم وضمأن وجودها، قضيتهم الأولى. إن القوى الأخرى في عالم اليوم لديها أيضا قضايا أكثر أهمية بالنسبة لها من النزاع الفلسطيني-الإسرائيلي، وغالبية دول العالم تؤيد الدولة الفلسطينية وتريد مساعدتها، لكن ثلاث دول فقط في العالم تدعم حركة حماس، إحداها تدعمها بالسلاح، والأخرى تساعدنا بالمال، والثالثة تؤيدها بالكلام.

مشتركا ومؤيدا عربيا ودوليا. تدبّر للجمع مدى تقبل الحركة لفكرة الانتخابات واستعدادها الفوري للالتزام بقانونها وعدم إثارة انتقادات جذية لوقفها أو تأخيرها، لأنها سوف تمنحها دورا فاعلا في ترسيم سياسة فلسطينية تضم الضفة الغربية وقطاع غزة. وسوف يقوم إسماعيل هنية رئيس المكتب السياسي للحركة بمناقشة هذا الموضوع مع رؤساء ومسؤولين عرب وأوروبيين على تماس لصيق مع الإدارة الأمريكية أثناء جولته الخارجية الحالية. وقد يكون ترشيح قيادة الحركة بالهدية الأمريكية المتخطلة في إقامة مستشفى ميداني مجهز في غزة، بداية لعلاقة جديدة. الاحتمال الثاني، استقلال قطاع غزة في إمارة إسلامية مستقلة منزوعة السلاح، في شريط مجاور لجنوب الشاطئ الجنوبي من ساحل شرق البحر المتوسط. وحدثت

مناقشات وتم استعراض آراء تتعلق بإضافة المزيد من المساحة لهذه الإمارة الجديدة، سواء من الأراضي المصرية المجاورة أو الأراضي التي تسيطر عليها إسرائيل من غرب النقب، لكن الدولتين رفضتا ذلك. وتطرح اليوم آراء تتعلق بزيادة المساحة المطلوبة للإمارة المنشودة، ليس بمصادرة أراض من مصر التي رفضت هذا الاقتراح، ولا من الاستيلاء على مئات من الكيلومترات من الأراضي المحتلة القابعة تحت نفوذ إسرائيل، بل من البحر المتوسط نفسه. وبدور الحديث اليوم حول إنشاء جزيرة واسعة تلحق بأراضي قطاع غزة، تتضمن ميناء ومطارا والمزيد من الأرض. هل من الممكن تحقيق ذلك؟ هذا سؤال سوف نتكفل بالتطورات المقبلة بالإجابة عنه.

تونس.. ذكرى 17 ديسمبر ووقائع الانكفاء

عبدالجليل معالي
كاتب تونسي

ينتظر أن يتوجه الرئيس التونسي قيس سعيد، بكلمة إلى الشعب التونسي في الذكرى الثامنة للثورة يوم 17 ديسمبر. وحسب ما نقلته مصادر مقربة من الرئيس فإن الأخير سيقدم بمبادرة سياسية لتحريك الأزمة المتصلة بتشكيل الحكومة. على أن الواقع التونسي يعيش مشكلات أكثر تركيبا وتعقيدا من أزمة تشكيل الحكومة، ولو أن تلك الأزمة تعتبر اختصارا مكثفا للرأهن التونسي. أنهت تونس العام الثامن من ثورتها، مثخنة بجراح كثيرة جلتها من صنع الطبقة السياسية التي تداولت على حكم البلاد منذ صبيحة يوم 15

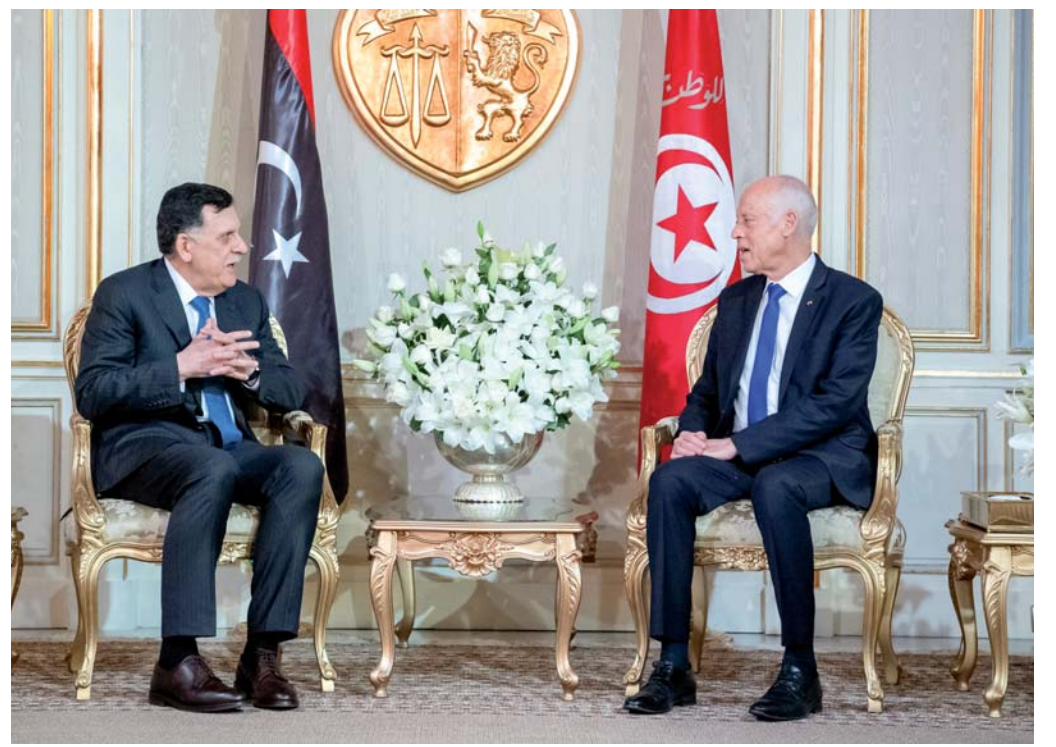
يناير 2011. وتبدأ العام التاسع من هذا الفصل التاريخي غير قادرة على تجسير الهوة بين زمن الثورة ومرحلة الدولة. لم تتصالح مع الشعارات والمضامين الاقتصادية والاجتماعية التي صدحت بها الشوارع، ولم تنضبط لمعايير الدولة ومؤسساتها. وظلت البلاد ونخبته، تراوح التمايل بين اللغتين؛ لغة "ثورة" تحولت في الانتخابات الأخيرة إلى تعبيرات شعبية، وقواعد "دولة" أصبحت بالتصنع والضعف والارتباك جزءا من الردد بين تطبيق القوانين وصون الدولة، وبين مقايضة المحتجين ومغازلة الغاضبين. هنا تتحول الذكرى الثامنة، وضمنها الكلمة المنتظرة للرئيس، إلى قراح للأسئلة أكثر من كونها مناسبة للتقييم. تتداخل الأسئلة المتصلة بالأحوال التونسية، بين الأبعاد الداخلية والأداء

الخارجي، ومع عسر الفصل بين البعدين فإن المتابع للرأهن التونسي يحق له التساؤل عما حققته البلاد منذ دخلت "عصرها الثوري"، وهل تميزت حقا عن التجارب المقارنة المتصلة بالربيع العربي أم أنها نجحت فقط في تجنب المنعرج العنيف الذي سقطت فيه نظائر عربية كثيرة وما زالت تعاني مفاعيله؟ وربط بالكلمة التي يرمز الرئيس تلاوتها في ذكرى 17 ديسمبر، والتي يُنتظر أن تتضمن مبادرة لحل أزمة الحكومة، فهي تندرج ضمن ما لوحظ من صمت "رئاسي" تجاه الكثير من القضايا الداخلية والخارجية. ضمت قيس سعيد عندما كان عليه أن يدلي بدلوه السياسي واكتفى ببعض المواقف الاستعراضية التي لم تخرج عما قدمه منذ حملته الانتخابية. جرت مياه تونسية وإقليمية كثيرة منذ انتخاب

الرائع، ومع عسر الفصل بين البعدين فإن المتابع للرأهن التونسي يحق له التساؤل عما حققته البلاد منذ دخلت "عصرها الثوري"، وهل تميزت حقا عن التجارب المقارنة المتصلة بالربيع العربي أم أنها نجحت فقط في تجنب المنعرج العنيف الذي سقطت فيه نظائر عربية كثيرة وما زالت تعاني مفاعيله؟ وربط بالكلمة التي يرمز الرئيس تلاوتها في ذكرى 17 ديسمبر، والتي يُنتظر أن تتضمن مبادرة لحل أزمة الحكومة، فهي تندرج ضمن ما لوحظ من صمت "رئاسي" تجاه الكثير من القضايا الداخلية والخارجية. ضمت قيس سعيد عندما كان عليه أن يدلي بدلوه السياسي واكتفى ببعض المواقف الاستعراضية التي لم تخرج عما قدمه منذ حملته الانتخابية. جرت مياه تونسية وإقليمية كثيرة منذ انتخاب

راوح الرئيس التونسي قيس سعيد مكانه في منطقة الغموض، وتأخرت تونس عن المساهمة في حل مشاكل الجوار وفي تجنب البلاد مآلات الواجه الخارجية المتحرك قيس سعيد. أطراف سياسية كثيرة انتقدت تراجع الدور السياسي لقيس سعيد، واكتفائه حتى الآن ببعض اللقاءات العامة والاستقبالات أو بعض الزيارات لمناطق فقيرة، دون مساهمة فاعلة في تحريك الجمود السياسي الداخلي، سواء في ما يتعلق بتشكيل الحكومة أو غيرها من الملفات العالقة والمتراكمة. لم يسع سعيد إلى تحويل شريعته الشعبية النابعة من العدد الكبير من الناخبين الذين اصطفوه، إلى فعل سياسي يحرك المياه الراكدة، ولم يتوصل إلى أن يقف على أرضية صلبة مقابل الشريعات المشتتة برمانيا وسياسيا.

في الملصق الخارجي يزداد غياب سعيد وضوحا، خاصة في ظل ما تعرفه المنطقة من تغيرات سريعة، في الجوار أولا وفي المنطقة ثانيا. وعد سعيد في حملته الانتخابية وفي المناظرات التلفزيونية بان يحرك الدبلوماسية التونسية ويعيد لها القها خاصة في الملف الليبي وفي العلاقات مع الجزائر. لكنه منذ انتخابه لم يكلف نفسه عناء السفر إلى أي قطر خارجي، واكتفى بإيفاد يوسف الشاهد، رئيس حكومة تصريف الأعمال، إلى الجزائر يوم 7 نوفمبر الماضي للقاء عبدالقادر بن صالح الرئيس الجزائري السابق. ثم هنا السبت الماضي في اتصال هاتفي الرئيس المنتخب عبدالمجيد تبون. وفي نفس سياق "دبلوماسية القصر"،



العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدرء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة العيوقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk